نُور الأفْئِدةِ بشَرحِ المُرشِدة

المشهورة بمُرشِدة ابنِ تُومَرت (ت ٥٢٤هـ)

شَرح العارِف بالله العلّامة الفَقِيه الشيخ

عبد الغَنِيّ ابن الشيخ إسماعيلَ الدمَشقيّ الحنَفِيّ الأشعريّ (ت ١١٤٣هـ)

بسند وتحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضِر في العقائد والفِرَق والسِّيَر

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

سند الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني حفظه الله

في «نُور الأفئِدةِ بشَرحِ المُرشِدة» في التَّوحيد

للعارِف باللهِ العلّامة الشيخ عبد الغَنِيّ ابن الشيخ إسماعيلَ النّابُلسِيّ (ت ١١٤٣هـ)

يقول الشيخ جميل حليم الحسينيّ حفظه الله:

أروي رسالة «**نُورِ الأفئِدةِ بشَرحِ المُرشِدة**» بأسانيد عدّة منها روايتي لها عن الشيخ أحمد نَصِيب المَحامِيد الحوراني الدمشقيّ عن الفقيه عبد الله بن درويش السُّكَّري الحنفيّ (ت ١٣٢٩هـ) عن المحدثّ الفقيه وجيه الدّين عبد الرحمن الكُزبَرِيّ الحفِيد الشافعيّ (ت ١٢٦٤هـ) عن مُصطفَى بن محمّد الرَّحمتي الأنصاريّ الحنفيّ (ت ١٢٠٥هـ) عن مصنِّفها الشيخ عبد الغنيّ ابن الشيخ الفقيه إسماعيل ابن عبد الغنيّ ابن إسماعيل بن أحمد النابُلسيّ الدمشقيّ الحنفيّ النقشَبَندِيّ القادِريّ الأشعريّ (ت ١١٤٣هـ).

وأرويها إجازةً عن شيخنا الإمام الحافِظ الفقيه الأصوليّ المتكلِّم المحقِّق المدَقِّق المُرشِد شيخِ الإسلام والمسلمِين عبدِ الله بنِ محمد الهررِيّ الحبشيّ رحمه الله رحمةً واسعةً ورضيَ عنه وأمدَّنا بمَدَدِه وهو عن شيخِه العارف بالله المحدِّث كبير أحمد بن عبد الرحمن الكدّي الحسَني الحبشي عن المسنِد المعمَّر مفتي الحنابِلة في الدِّيار الشاميّة المحدِّث عبد الله صوفان بن عودة القدُوميّ النابُلسيّ المدنيّ عن الوجيه الكُزبَرِيّ الحَفِيد بالسّنَد المتقدِّم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله مرشد الألباب إلى سبيل الصوابِ، والصلاةُ والسلام على سيّدنا محمَّد سيّد الأحباب، أما بعد، فيقول الفقير الحقير عبد الغني النابُلسِيُّ عامَلَه الله تعالى بلُطْفِه الخَفِيّ:

هذا شرحٌ لَطِيف على مُرشِدة الاعتقادِ للإمام السَّمَرْقَنْدِيّ أبي اللَّيْث[1] رحمه الله تعالى، سَمَّيتُه «**نُور الأَفِئدة بِشَرح الْمُرْشِدة**» ومِن الله تعالى أستَمِدُّ العناية والتوفيقَ إلى سُلوك طريق التَّحقِيق.

قال الشيخ رضي الله عنه: (**اعْلَمْ**) وهو خطابٌ عامٌّ لكل مكلف (**أَرْشَدَنَا اللهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ أَنَّهُ وَجَبَ**) أنه افترض فرضًا عينيًا (**عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ**) أي كل عاقل بالغ كان ذكرا أو أنثى أو خنثى وهذا الوجوب وجوب شرعي لا عقلي لأن الله تعالى تجب معرفته قبل ورود الشرع كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [سُورة الإسراء: ١٥] ولكن بعد وُرود الشرع هل يشترط وصول الدعوة أم لا فقال الأشعري رحمه الله يشترط وصول الدعوة حتى من نشأ في شاهق جبل لم يحكم بعقابه إذا مات ولم يعتقد إيمانًا ولا كفرًا، وأوجب غيره الاستدلال عليه والمعرفة ولم يعذره بسبب وجود العقل فإن العقل كافٍ في ذلك كما وقع لأصحاب الكهف حين قالوا:

---

(١) نِسبةُ النّابلسيِّ المرشِدةَ إلى أبي اللَّيثِ خطأٌ مِنهُ وقد بَيَّنّا صوابَ نِسبتها إلى ابن تُومرتَ.

﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سُورة الكَهف: ١٤] وليسوا بأنبياء(١)، وهذا في حكم الاعتقاد، وأمّا في حكم الأعمال فهو معذورٌ إجماعًا، حتى لو أسلم رجل في دار الحرب وجهل بأحكام الفروع ثم علم لا يجب عليه القضاء عندنا(٢) كما صَرَّح به في «تَنوِير الأَبصارِ» وغيره **(أَنْ يَعْلَمَ)** عِلمًا مُستَنِدًا إلى الدليلِ العقلِيّ حتى يكون ناظِرًا لا مُقَلِّدًا فإنَّ إيمان المقَلِّد مُخْتَلفٌ في صِحَّتِه والراجِحُ صِحَّتُه(٣) ولكنه فاسِقٌ بترك الفرض الذي هو معرفة الدليل بِقَلْبه تأكِيدًا للعِلم، لأنّ العِلم لا

(١) والصَّوابُ أنَّ أهل الكَهفِ كانوا على الإيمانِ قبلُ وقَد فَرُّوا بِدِينِهم خَشيةَ الْمَلِك الكافِر ءانَذاكَ بِدَلِيلِ أنَّ اللهَ تعالَى قال: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [سُورة الكَهف: ١٣].

(٢) يعني الحَنَفِيَّةَ.

(٣) القولُ المعتمد عند أهل السُّنَّة الاكتفاء بالتقليد مع العصيان بترك معرفة الدليل العقلي على وجود الله. فالاستدلال على وجود الله واجب، ومن لم يستدلّ فهو عاص لكن الإسلام يصحّ منه بالجزم بمعنى الشهادتين حين النُّطق بهما، لأن من جزم بمعنى الشهادتين وقد نطق بهما فهو مسلم مؤمن ولو لم يستدلّ، وهذا هو المذهب الصحيح والمعتمد الذي عليه الأشعري والماتريدي وجمهور العلماء، فالصواب في هذه المسئلة وهو المعتمد عند المحققين القدامى والمتأخرين أنه لا يلزم من التقليد في الإيمان أن لا يحصل منه جزم بالمعتقد الصحيح عند المقلِّد غيرَه بدون معرفة التوحيد بالدليل العقلي، وعليه فإن إيمان المقلِّد صحيح إن لم يحصل عنده شك أو تزحزُحٌ عن الحق. وأما ما نُسِب إلى الإمام الشيخ أبي الحسن الأشعري قَدَّس الله سِرَّه الشريف من عدم صحة إيمان المقلد فمَحضُ كَذِبٍ وافتراء عليه، كما قرره الأستاذ المحقق لسانُ الصوفية الصادقين في خراسان في عصره والذابُّ عن الشيخ أبي الحسن الأشعري ومذهبه الإمامُ أبو القاسم القُشَيري (ت ٤٦٥هـ) رحمه الله تعالى في رسالته المسماة «شِكاية أهل =

....

يكون إلا بالقلب احترازًا عَمَّن قال مِن الفِرق الضالة: إنّ الإقرار باللسان مِن غير تصديقٍ بالقلب كافٍ في الإيمان، والمنافِقُون عنده مُؤمِنُون، وهو قول باطل، والحقُّ أن الإيمان المنجي عند الله تعالى هو التصديق بالقلبِ(١)، وأما الإقرار باللسان [للقادِر عليه] فهو شرط إجراء أحكام الله تعالى على العبد بأنه مؤمِن كما أنَّ العمل بالأركان شرط لإجراء أحكام العدالة على العبد المؤمِن، فتارك التصديق كافِرٌ عندنا وعند الله تعالى، وتارك الإقرار كافِرٌ عندنا لا عند الله تعالى(٢) وتاركُ العمل فاسق.

= السنّة بحِكاية ما نالهم مِن الْمِحْنة»، وكذلك دَحَض هذا المنسوبَ بُهتانًا إلى الشيخ الأشعري في هذه المسئلة صاحبُ كتاب «جمع الجوامع»، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الفَتح» ما نصه: "وأما مَن غَلَا فقال لا يكفي إيمان المقلِّد فلا يُلْتَفَت إليه لِمَا يَلزَم مِنه من القول بِعَدم إيمان أكثر الْمُسلِمين" اهـ.

(١) أي مع النُّطق بالشَّهادتَين لِمَن أراد الدخول في الإسلام وقد قَدَر على النُّطق.

(٢) هذا يُتَصَوَّرُ فِيمَن كان كافِرًا بحسَب ما ظهَرَ لنا ثُمّ ءَامَن بِقَلبِه ولم نَعرِف مِنهُ قَبلَ مَوتِه وقد ماتَ قبل أن ينطِق بالشَّهادَتين لا عن تأخير مِنهُ عن النُّطق بل عن مفاجأة الموت له بعد الإيمان وقبل التمكُّن مِن النُّطق، فهذا بحسَب ما ظهَرَ لنا في الدُّنيا قد ماتَ كافِرًا فلا نُصَلّي علَيه ولا نَدفِنُه في مقابر المسلمين معَ أنّ الواقع أنّهُ قد مات مؤمنًا بالله إلا أنّ ذلك قد خَفِيَ عَنَّا في الظاهر. ويَتبَعُ هذه صُوَرٌ أخرى، مِنها:

- من عَجَز عن النطق لآفةٍ وأراد الدخول في الإسلام فهذا يكفيه أن يؤمن بقلبه ونحكم عليه بالإيمان إنْ عرفنا أنّه ءامَن بإشارة منه.

- من لم يَعجِز عن النطق فصَدَّق بقلبه ولم ينطق بلسانه لا لآفة وإنما إبايةً وامتناعًا فهو كافِرٌ حُكمُه حُكم أبي طالبٍ. وقد رَوَى أبو داود في سُنَنِه: عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ، ثُمَّ لَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا، حَتَّى تَأْتِيَنِي**»، وفي روايةٍ عندَ =

(**أَنَّ اللهَ**) وهو اسم علَمٍ موضوعٌ على ذات الله تعالى التي لا تُدرَك[١] ولا تترك. وقولهم: "شرط الوضع تَصَوُّر الموضوع له حتى يكون معيّنًا" لا ينافي كون اسم الله تعالى علَمًا على ذاته التي لا تُتَصَوَّر، كما كتبنا في ذلك رسالة مستقِلّة.

(**عَزَّ وَجَلَّ**) أي عزيزٌ عن مشابهة الأرواح وإدراكها[٢]، وعن مُماثَلة الأجسام وتوهُّماتها، ومثل هذا القول[٣] واجب عند ذكر اسم الله تعالى[٤] كما صرّح به القرمانيّ رحمه الله تعالى في شرح

= الشَّافعِيّ والنَّسائيّ والطَّيالِسيّ: قُلْتُ: إِنَّهُ مَاتَ مُشْرِكًا، قَالَ: «**اذْهَبْ فَوَارِهِ**»، وفي ثالثةٍ عند ابن أبي شَيبةَ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الْكَافِرَ قَدْ مَاتَ فَمَا تَرَى فِيهِ، الحديثَ.

(١) التاءُ ليست للتأنيث الحقيقيّ بل هي لتأنيث اللفظِ ولا يَضُرُّ ذلك وإن كان الأحسنُ أن يقالَ: "ذاتُ الله لا يُدرَك" أي لا يُدرِك العبدُ حَقيقةَ ذاتِ الله.

(٢) أي لا تُدرِكُه الأرواحُ أي الأنفُس، لأنَّ حقيقة الله لا يَعرِفُها إلا الله.

فائدة: قال الإمامُ الحافظُ الهرَريُّ رضي الله عنه: ما ورَد إطلاقُ العارِفِ على الله لكن ورد إطلاقُ لفظ فِعلِهِ. بعض أهلِ اللُّغة قالوا: المعرفة يَسبِقُها الجهلُ، وبعضُهم قالوا: لا ليس شَرطًا، المعرفةُ بالشيء العِلمُ به مِن غير اشتراط أن يكون سَبَقَه جَهْلٌ به. بَعضُ أهل اللُّغَة قال: المعرفةُ العِلمُ بالجُزئِيّاتِ، أمّا العِلمُ فهو شامِلٌ للعِلْم بالجُزئِيّات ولإدراكِ الكُلِّيّات.

(٣) أي لفظ عَزَّ وجل.

(٤) ولعَلَّه أراد بواجِبٍ أنّه مَطلُوبٌ مُؤَكَّدٌ لا على معنى الفَرضِيّة التي يَتَرَتَّب على تارِكِها العقابُ في الآخرة، لأنّ هذا معروف عند جميع الأمة، فمِنهُم من يقول سُبحانَهُ ويترُك لفظ وتَعالى ولفظ عَزَّ وجَلَّ ومِنهُم من لا يقول شيئًا، ثم إنّه لا دليل على فرضِيّة ذلك.

المقدّمة[١] التي للمُصنّف رحمه الله تعالى.

(وَاحِدٌ) لكن ليس مِن مَراتب العدد لأنّ الواحد من الأعداد يمكن أن يكون له ثانٍ، والله تعالى ليس له ثانٍ ولا يمكن أن يكون له ثانٍ، فهو واحد في ذاته، واحد في مُلكِه أي جميع ما يملكه من الآثار التي أخرجها من العدم بِسَطوة قدرته، يعني أنه تعالى واحد لا شريك له في كل موضع من مواضع ملكه، فهو واحد في السماء وواحد في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [سُورة الزُّخرُف: ٨٤] يعني أنه تعالى إلٰه عند أهل السماوات وإلٰه أيضًا عند أهل الأرض، كما تقول إن هذا السلطان سلطان في الشام وسلطان في مصر وسلطان في حلَبَ مع أنه ليس في الشام ولا في مصر ولا في حلَبَ، فإن قلت: قال الأصوليون: إن النكرة إذا أُعِيدت نكرة كانت غير الأولى، قلت: نعم ذلك، ولكن المغايَرة في الأتميّة بحسب المعرفة وظهور الأكملية كافية في معنى المغايرة، فالمغايرة نظير المغايرة في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سُورة الإسراء: ١١٠] فإن الله هو الرحمن فاللَّفظان يوجب المغايرة الاعتبارية[٢]، فإنّ مِن المعلوم أن أهل السماء يعلمون ألوهية الله تعالى عِلمًا تامًّا كامِلًا أتمّ مِن

---

(١) يعني «مُقدّمة أبي اللَّيث السَّمَرقَندِيّ في الصَّلاة».

(٢) أي اللَّفظانِ مُختَلِفان، فإن دَعَوتَ الله باسم اللهِ أو باسمِه الرحمن فإنما تَدعُو إلهًا وَاحِدًا، ولفظ الجلالة الله اسمُ علَمٍ يَدُلُّ على الذات المقدَسِ المستحِقّ لنهاية التعظيم وغاية الإجلال، واسمُ الرحمن معناهُ ذُو الرحمة الشاملة التي وَسِعَتِ الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم.

علم أهل الأرض[١] بالله تعالى وبألوهيّته، كما لا يخفى خلق العالَم، والخَلق هو الإيجاد من العدم أو التقدير بالمقادير كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [سُورة الفُرقان: ٢] والعالَم اسم لكلّ ما سوى الله تعالى من المنفَعَلات الحادثة، وسُمِّي عالَمًا لأنّه تعالى يُعْلَم به، فهو علامة عليه تعالى باعتبار أنّ الأثر علامة على المؤثِّر بأسِره أي بأجمَعِه مُجمَلًا ومفصَّلًا[٢].

(**العُلْوِيَّ**) وهو عالَم الأرواح[٣]، فكونه علويًّا كونه ليس مُدرَكًا للعَقل الخَلْقِي، فهو عالٍ عن العقل وإداركه، ولا يَفهم أحَدٌ أنّ شيئًا منه قديم بل هو حادث ضرورةَ التغيّرِ الذي يَعتريه من القُوَى المبثوثة منه في الأبدان الجِسمانِيّة[٤].

(**وَالسُّفْلِيَّ**) وهو الأجرام والأعراض المتحيزة مما يُدرَك بالعقول الخَلْقِية[٥]. ثم شَرَح في تفصِيلِ العالَم العُلويّ فقال:

(**وَالعَرْشَ**) وهو جِسمٌ عَظِيمٌ خَلَقه الله تعالى فوق كلِّ جِسم.

---

(١) المرادُ عَوامُّ البَشَر.

(٢) أي العالَم بأسرِه، بدَلِيل قولِه: "خَلَقَ العالَم بِأَسْرِهِ".

(٣) ومُرادُه بذلك الملائكةُ وهم ذَوُو أرواحٍ.

(٤) واختارَ شيخُنا الإمامُ الحافظ الهررِيُّ رضي الله عنه تفسيرَ العالَمِ العُلويّ بِما كانَ في السَّماواتِ وفَوقَها مِن ملائكةٍ وعَرشٍ وكُرسِيّ وجَنَّةٍ وغَيرِ ذلك مِن الحادِثاتِ.

(٥) وكذلك اختارَ شيخُنا الإمامُ الهررِيُّ رضي الله عنه تفسيرَ العالَمِ السُّفليّ بِما كانَ في الأرضينَ وتَحتَها.

وَالكُرْسِيَّ وَالسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، جَمِيعُ الخَلَائِقِ مَقْهُورُونَ بِقُدْرَتِهِ، لَا مُدَبِّرَ فِي الخَلْقِ ....

(**وَالكُرْسِيَّ**) وهو جِسمٌ ءاخَر دُون العرش (**وَالسَّمَاوَاتِ**) السبعِ، وهي أجسامٌ سَبعةٌ دُون ذلك (**وَالأَرْضَ**) واختَلَفُوا فيها، فقيل إنها طَبَقة واحدة مقدار السماوات السبع[١]، وقيل: سَبعُ طبقات[٢] كالسَّماوات كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [سُورة الطَّلاق: ١٢] الآيةَ[٣].

(**وَمَا فِيهِمَا**) أي في السَّماوات والأرض مِن الملائكة والكواكب والأفلاك، وكذلك الطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليُبوسة، والعناصِر الأربعة: النار والهواء والماء والتراب، وكذلك جميع ما تولد منها من المواليد الأربعة: الجماد والنبات والحيوان والإنسان.

(**وَمَا بَيْنَهُمَا**) أي بين السَّماوات والأرض مِن (**جَمِيعِ الخَلَائِقِ**) المختلِفة الأجناسِ والأنواع والأشخاص كما ذكَرنا مِن العناصر والموالِيد.

(**لَا مُدَبِّرَ**) والتدبير النَّظرُ في عواقب الأمور[٤] وإتقانُها على وجه الحكمة (**لَهُ**) أي اللهِ تَعالَى (**فِي**

---

(١) وهذا قولٌ ضَعِيفٌ.

(٢) أي مُنفَصِلةٍ.

(٣) وهذا هُو الصَّحِيحُ الَّذِي يَدُلُّ على وُجود سَبْعِ أرَضِينَ، وكذلك دَلَّ عَلَيه الحَدِيثُ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى**» الحديثَ.

(٤) هذا مِن حيثُ التَّعرِيفُ اللُّغَوِيُّ فيما يَتعلَّق بالإنسانِ، وأمَّا الله فهوَ المدَبّر لِكُلّ الكَون المصَرِّفُ لِشُؤونه الْمُطَّلِعُ على تفاصيلِ أحوالِه، ولا مُدَبِّر على الحقيقةِ لشيء مِن هذا الكونِ إلا اللهُ، وأما الآيةُ الكريمةُ: =

الخَلْقِ) أي المخلوقات والإيجاد والتقدير (**وَلَا شَرِيكَ**) أي مُشارِك له سبحانه وتعالى (**فِي الْمُلْكِ**) أي مُلْكِ هذا الوجودِ الحادث، فالكُلّ له ومنه بَدأ الأمر وإليه يعود.

(**حَيٌّ**) بحياة قديمة ليست عَرَضًا[1] ولا معنًى[2] ولا قُوّة[3] بل هي صفة منزَّهة عن مُشابَهة كل شيء.

(**قَيُّومٌ**) أي مُقَوِّم مُثبِت لكلّ شيء لأنّ الأشياء كلَّها ءاثارُه، فهو الموجِد لها، فلولا قُدرتُه وإرادتُه لَمَا

= ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [سُورة النّازعات: ٥] فمعناها أنّ تَدبيرَ الملائكةِ لِبَعض شؤون الكَون والعالَم تَدبيرٌ جُزئِيٌّ وهو بِخَلْق اللهِ للمَلائكةِ ولأَعمالِهم، فَهُم مأمُورونَ مِن الله بالقيام بهذه الوَظائف فلا يُسَمَّى تَدبيرُهم تدبيرًا على الحقيقة أي استِقلالًا عن مشيئةِ الله لأنه مُستحِيلٌ ويكونُ معنى ذلك أنّه يَحصُل منهم ما يدخُل في الكَون مِمَّا لم يشأه الله وهذا يُؤَدِّي إلى القول بأنّ الله عاجِز مَقهُور يَدخُل في مِلْكِه ما لم يُرِدْه، واللهُ يَقول في القُرءان الكَريم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الرَّعد: ١٦]، فالمدَبّر الحقيقِيُّ لكلّ شُؤونِ الكَون والعالَم هو اللهُ جلَّ جلالُه.

(١) لأنّه ليس ذاتًا مخلوقةً، فَذَوَات المخلُوقِينَ لا تَقُوم بِلَا عَرَضٍ، والأعراضُ لا تَقُوم إلَّا في ذَوات مَخلُوقةٍ.

(٢) أي ولا معنًى حادِثًا أي ليسَتْ صِفةً حادِثةً.

(٣) القُدرة هي القُوَّة فلَيْسَت حَياتُه هي عينَ صِفةِ القُدْرة، إنّما القُدرة صِفةٌ والحياةُ صِفةٌ، وحياة الله ليست كحياة الأحياء بل حياتهُ أزليةٌ أبدِيةٌ لا يَتَخَلَّلُها انقطاعٌ ولا انقضاءٌ، وهي بلا جَسَدٍ ولا رُوحٍ ولا دَمٍ ولا قَلْبٍ ولا عُرُوقٍ ولا غِذاءٍ ولا نَفَسٍ، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [سُورة الفُرقان: ٥٨].

وُجِد شيء[١].

(لا تأخذُه سِنَةٌ) بكسر السِّين المهمَلة أي غفلة، فليس هو مِن قِسم الأرواح التي تأخذها السِّنة أي الغفلة والذهول **(ولا نَوم)** فليس مِن قِسم الأجسام التي يأخذها النَّوم وهو الفُتور الطبيعيّ الذي يُوجِب الاستِرخاء[٢].

(عالِمُ الغَيبِ) وعلمه تعالى ليس عِلم المخلوقات المنقَسِم إلى تَصوُّر وتَصدِيق، فعِلمُه تعالَى صفة واحدة قديمة ليست كعِلمٍ بتصوُّرٍ للمعلومات ولا تصديقٍ بها، متعلِّقٌ بالكليات والجزئيات من غير زيادة تعلُّق معلوم دُون معلوم، ولا فرق بالنسبة إليها بين موجود ومعدوم، والمراد بالغَيب ما هو غَيب عن العقول البشرية مِن أمر الآخرة وما فيها من الجنة والنار وأحوال أَهلِها[٣].

(١) والمشهورُ عِند عُلَماء التوحيد والتفسير أنّ القَيُّومَ له مَعْنيانِ: أَحَدُهما: الذي لا يحتاجُ إلى غَيرِه، والثاني: الدائِمُ الذي لا يزول ولا يَطرأ عليه فناءٌ ولا تَغيُّرٌ، وهذا التفسيرُ هو الذي عَليه الأكثَرُ. وليس معنَى القَيُّوم ما يَعتَقِدُه بعضُ الكفَرة من الحُلولِيّة الاتِّحادية أنَّ الله قائِمٌ فِينَا حالٌّ في أجسادِنا أو حالٌّ في العالَم أو في الصُّوَر الجميلة أو في الكَعْبة أو في الأنبياء والأولياءِ والملائكة، فإنّ ذلك الاعتقادَ وكُفرَ التَّعطِيل أشَدُّ الكُفر وأقبَحُه. وقد نَقَل الحافظ السُّيوطِيُّ إجماعَ الأنبياءِ والأولياءِ والمسلِمين على كُفْر مَن يَقُول بالحُلول والاتِّحاد، كما في «الحاوي».

(٢) راجع كِتابنَا: "اَلمَدَد القُدْسِيّ في فَضْلِ وتَفسِير ءايةِ الكُرسِيّ".

(٣) الغَيبُ يَشمَل ذلك وما هو أعَمُّ منه بِحَيثُ أنَّ كُلَّ ما غابَ عَنَّا فهو غَيْبٌ.

وَالشَّهَادَةِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، يَعْلَمُ مَا فِي البَرّ وَالبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَىءٍ عِلْمًا وَأَحْصَى كُلَّ شَىءٍ عَدَدًا ....

(**والشَّهادةِ**) والمراد بها جميع ما يُدرَك بالعقول في الدنيا، لا يَخفَى عليه تعالى شىء عظِيم أو حَقِير في الأرض ولا في السَّماء مِن جميع الأشياء.

(**يَعلَم**) سُبحانه (**ما فِي البَرّ**) مِن جميع المخلوقات المختَلِفة وذَرّات النَّمْل، ومَثاقِيل الجِبال والرَّمل (**وما فِي البَحر**) مِن سائر المصنوعات البدِيعة مِن الحِيتانِ وأنواع الحَيوانِ.

(**وما تَسقُط مِن ورَقةٍ**) أي تَنزِل مِن ورَقةٍ مِن أوراق الأشجار والنّباتات (**إلّا يَعلَمُها**) أي يَعلم السَّبَب الذي أسقَطَها ويَعلَم كيفَ تَسقُط وعلى أيّ شىء تَسقُط والذي يَترَتَّب على سُقوطِها.

(**ولا حَبَّةٍ**) مِن حَبّاتِ النَّباتات المدفونةِ (**فِي ظُلماتِ الأرضِ**) أي فِي جَوفِها الْمُظلِم (**وَلا رَطْبٍ**) مِن الأشجار والثِّمارِ والنَّبات (**ولا يابِسٍ**) مِن جَمِيع ذلِك على معنى مَتَى يَظهَر ذلك الرَّطبُ واليابِسُ وكيف يكون ومتَى يَتغيَّرُ الرَّطبُ يابِسًا وكيف يَتَّصِل وكيف يَنفَصِل (**إِلَّا فِي كِتابٍ مُبين**) أي واضِحٍ ظاهِرٍ وهو اللَّوحُ المحفوظُ، كَتَب اللهُ تعالَى فيه[1] جميعَ ما هو كائنٌ إلى يَومِ القيامةِ.

(**أَحاطَ بِكُلِّ شَىءٍ**) مِن الأشياءِ الواجبةِ كذاتِه وصِفاتِه وأسمائِه وأحكامِه وأفعالِه، والجائزةِ كالمخلوقاتِ، والمستحيلةِ كالَّتِي لا تَلِيقُ به (**عِلمًا**) أي عالِمٌ بجَمِيع الأشياءِ المذكورةِ (**وأَحصَى كلَّ شىءٍ**) مِن هذه الأشياءِ المذكورةِ (**عَدَدًا**) فلَم يَعزُب عن عِلمِه شىءٌ.

---

(١) أي أَمَرَ القَلَمَ الأعلَى أن يَجرِي فيَكتُبَ في اللَّوحِ.

(**فَعَّالٌ**) على صِيغة المبالَغة إشارةً إلى كَمالِ فِعلِه تعالَى، فالمبالَغةُ في حَقِّهِ مُساواةٌ[١]، فلا فَرْق في المعنَى بين فَعّال وفاعِل، لكن صَرَّح تارةً لِكَمالِ فِعلِه ولَم يُصرِّح أُخرَى، وإلا فالتَّفاوُتُ يُؤْذِنُ بالحُدوثِ وهو مُحالٌ[٢].

(**لِمَا يُرِيدُ**) مِن خيرٍ وشَرٍّ ونَفعٍ وضُرٍّ، فلا يَقهَرُه سُبحانَه شيءٌ ولَا يُكرِهُهُ أَحَدٌ.

(**قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ**) بِقُدرةٍ واحِدةٍ قَدِيمةٍ ليسَتْ قُوّةً ولا مَعنًى بل هي صفةٌ لا تُحِيطُ بِها العُقولُ متعلِّقةٌ بإيجاد العالَم على حَسَبِ ما أرادَ سُبحانَهُ وتعالَى بإرادَتِه القدِيمةِ التي يُخَصِّصُ بِها ما أرادَ بِمَا أرادَ، وليسَتْ إرادَتُه تعالَى مَيْلًا ولا عَرَضًا ولا تَعَدُّدَ فِيها ولا حُدوثَ ألبَتَّةَ.

(**لَهُ الْمُلْكُ**) أي السُّلطانُ والقَهرُ والسَّطْوةُ[٣] (**وَلَه الغِنَى**) أي عَدمُ الاحتِياجِ إلى شىء مِن الأشياءِ

---

(١) أي كقَولِنا "اللهُ قَديرٌ وقادِرٌ" لا يَعني أنّهَ كان في حالٍ قادِرًا أكثرَ مِن حالٍ أُخرى، فقُدرة الله تعالى واحِدة لا تتغيَّر ولا تتطوَّرُ، وإيجادُ الله تعالى الأشياءَ وإعدامُه إيّاها بالنسبة لِقُدرَتِه على حَدٍّ سَواءٍ، فخَلْقُه للعَرشِ كخَلْقِه للذَّرّة، وخَلْقُه للسَّماوات والأرضِ والجَنَّة والنَّار كخَلْقِه نُقطةَ الماءِ.

(٢) وتعبيرُه هنا راجِعٌ إلى المعنَى اللُّغَوِيّ المتَعَلِّقِ بالألفاظ، وأمّا ذاتُ اللهِ فلا يَطْرأُ عليه تَغَيُّرٌ ولا يكونُ شيءٌ عليه أهوَنَ مِن شيءٍ ولا شيءَ أشغَلُ مِن شيءٍ لأنّ الله تعالَى يُدَبِّرُ العالَم وكُلَّ الكَونِ بإرادَتِه الأزلِيّة فلا يكونُ هُوَ ولا صِفاتُه في حالٍ مِن الأحوالِ أكمَلَ مِن أُخرَى لأنَّ الزيادةَ والنُّقْصانَ وتَغَيُّرَ الأحوال والانتِقالَ مِن كَمالٍ إلى أكمَلَ أو مِن كَمالٍ إلى نُقصانٍ مُحالٌ عليه لأنّ التَّغَيُّرَ مِن صفات المخلُوقِين.

(٣) أي الغَلَبَةُ والقَهْرُ، وهذا التنويعُ في العبارات هو لتأكيدِ المعنَى، والله تعالى لا ضِدَّ له ولا نِدَّ. ومعنى لا ضِدَّ له أي لا مُكرِه لهُ ولا غالِب لأنّ الله قال: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [سُورة يُوسُف: ٢١]، وقال: =

مُطلَقًا (**وَلَهُ العِزَّةُ**) أي الامتِناعُ والارتِفاعُ عن إدراكاتِ العُقولِ وتَصوُّراتِ الأَوهامِ[1] (**وَالبَقَاءُ**) أي الدَّوامُ والاستِمرارُ[2] لا في زَمانٍ ولا في مَكانٍ (**وَلَهُ الحُكْمُ وَالقَضَاءُ**) أي الإلزامُ والإجبارُ والقَهرُ والإكراهُ على مُقتَضَى حِكمَتِه سُبحانَهُ وتعالَى (**ولَه الحَمْدُ**) أي الوَصفُ بالأوصافِ الكَمالِيّةِ (**وَالثَّنَاءُ**) أي الْمَدحُ لأنّه الكامِلُ المُطْلَقُ والجَمِيلُ الحَقُّ فلَيسَ كَمالُه مُكتَسَبًا ولا زائِلًا ولا جَمالُ صِفاتِه عَرَضًا ولا فانِيًا ولا مُدرَكًا ولا مُشَبَّهًا (**وَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى**) أي الأسماءُ المُتعالِيةُ عن نَظَرِ

= ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [سُورة هُودٍ: ١٠٧]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [سُورة الرَّعد: ١٦] ولو كان له مُغالِب لكان عاجِزًا مُحتاجًا ضعِيفًا مَخلُوقًا وهذا مُستحِيلٌ شَرعًا وعَقلًا، ومعنى لا نِدَّ لَهُ أي لا شَرِيك له، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سُورة البقَرة: ٢٢].

(١) أي المنزَّه عن أن يُتَخَيَّل ويُتَصَوَّر في الأذهان والأوهام، فهو تعالَى أجَلُّ مِن ذلك، ولأنّه سُبحانه قال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [سُورة النَّجم: ٤٢]، وقال ﷺ: «**لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ**»، وقال أُبَيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه في معنَى الآيةِ: أي الذي انتهى دُونَه فِكْرُ مَن تَفكَّر، يعني أنّ الأفكارَ والظُّنون والتَّخَيُّلاتِ والتَّصوُّرات لا تَصِل إلى الله تعالَى، مهما تَصَوَّرْتَ ببالك فاللهُ بخلاف ذلك. وقد جاء في القرءان الكريم: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [سُورة غافِر: ١٥] أي عالِي القَدْر جِدًّا، فالله أعظمُ مِن كُلِّ عَظِيمٍ وأعلى من كُلِّ شىءٍ قَدْرًا وشأنًا وعَظَمةً لا مكانًا ولا حَجْمًا لأنه سُبحانه موجود أزَلًا وأبَدًا بلا جهة ولا مكان مُنَزَّهٌ عن الجِسمِيّة والكَيفِيّة ولوازِمِهمَا.

(٢) أي الأبَدِيّةُ. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ [سُورة الحديد: ٣]، فلو جازَ عليه سبحانه وتعالى الزَّوالُ شرعًا وعقلًا لم يَكُن أزَلِيًّا.

العُقولِ مِن شِدَّةِ حُسْنِها وجَمالِها[١] الذي لَيس بِعَرضٍ حتّى يَتَفاوَتَ، وأسماؤُه تعالَى لا نهايةَ لها ولا إحصاءَ[٢]، والوارِدُ مِنها في الأخبارِ والأحادِيثِ لا يَدُلُّ على الحَصْرِ[٣].

(**لَا دَافِعَ**) مُطلَقًا في الدُّنيا والآخِرةِ (**لِمَا**) أي لِشَىءٍ (**قَضَى**) أي حَكَم به مِن الأشياء التي هِي خيرٌ أو شَرٌّ (**وَلَا مَانِعَ**) علَى العُمومِ في الدُّنيا والآخِرةِ (**لِمَا**) أي لِشَىءٍ (**أَعْطَى**) سُبحانَه وتعالَى مِن الأشياءِ العَظِيمةِ أو الحَقِيرةِ.

(**يَفْعَلُ**) تَعالَى (**فِي مُلْكِهِ**) أي في مَخلُوقاتِه (**مَا يُرِيدُ**) مِن خَيرٍ وشَرٍّ (**وَيَحْكُمُ**) أي يُلْزِمُ ويُثْبِتُ ويُوجِدُ (**فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ**) مِن غيرِ إكراهٍ له تَعالَى ولا إقهارٍ، ولكنّه تَعالَى إذا أرادَ الشَّرَ لا يَرضَى

---

(١) أي كَمالُها وأنّه لا نَقْصَ فِيها، لأنّ معنَى الحُسنَى الدَّالَّةُ على الكمال اللائقِ بِه تعالَى، فمَا مِن اسمٍ مِن أسمَائِه تَعالى إلَّا وهُوَ يَدُلُّ على الكمال اللائقِ بِه سُبحانه.

تنبيه: ليُحذر مِن كلامٍ فاسِدٍ ورد فِي بعضِ الكُتبِ كقولِهِم: "ينبغِي لِلمرِيضِ أن يقُول "ءاهٍ" لِأنَّهُ ورد أنّه اسمٌ مِن أسمائِهِ تعالى"، نعوذُ باللهِ مِن هذا الباطِلِ، فهذا خِلافُ قولِ جماهِيرِ الفُقهاءِ فِي استِحبابِ تركِ المرِيضِ الأنِين ما أطاقَ، ناهِيك عن أنّ "ءاهٍ" ليس مِن أسماءِ اللهِ بل هُو اسمٌ وُضِع لِلتّوجُّعِ والأنِينِ. فلا يجُوزُ ذِكرُ اللهِ بِلفظِ "ءاهٍ" ولا بِنحوِهِ مِن ألفاظِ الأنِينِ والتّوجُّعِ لِأنّ ذلِك ليس مِن أسماءِ اللهِ تعالى، فمَن أراد أن يَذكُر الله تعالى فليذكُرهُ بما هُو ثابِتٌ فِي القُرءانِ الكرِيمِ والسُّنّةِ النّبوِيّةِ الشّرِيفةِ، وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سُورة الأعراف: ١٨٠].

(٢) أي لا تَدخُل تحتَ حَصْرِنا.

(٣) أي فِي عَدَدٍ مُعيَّنٍ.

لَا يَرجُو ثَوَابًا وَلَا يَخَافُ عِقَابًا، لَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ [يَلْزَمُهُ] وَلَا عَلَيْهِ حُكْمٌ، وَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلونَ ....

بِه، وإذا أرادَ الخَيرَ يَرضَى بِه، فالشَّرُّ بإرادَتِه وغَضَبِه والخَيرُ بإرادَتِه ورِضاهُ.

(**لَا يَرجُو**) مِن أَحَدٍ مِن خَلْقِه (**ثَوَابًا**) أي جَزاءً علَى كَونِه خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وهَدَاهُ (**وَلَا يَخَافُ**) مِن أَحَدٍ مِن الخَلْقِ (**عِقَابًا**) علَى كَونِه أَضَرَّه وأضَلَّهُ وأَشقَاهُ.

(**لَيْسَ عَلَيْهِ**) تَعالَى (**حُكْمٌ**) مِن قِبَلِ غَيرِه مِن المخلُوقاتِ لأنّه الحاكِمُ لا غَيرُه (**وَلَا عَلَيْهِ**) تَعالَى (**حَقٌّ [يَلْزَمُهُ]**) لأحَدٍ مِن الخَلْقِ لأنّه أَخرَجَ الأشياءَ كُلَّها مِن العَدَمِ فلَهُ تعالَى عليها حُقوقٌ فكَيفَ يَكونُ علَيهِ حَقٌّ [يَلْزَمُه].

(**وَكُلُّ نِعْمةٍ مِنْهُ**) سُبحانَه وتَعالَى علَى خَلْقِه (**فَضْلٌ**) لِعَدَمِ استِحقاقِهم علَيهِ تعالَى شيئًا (**وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ**) تَعالَى أَظهَرَها فِي الدُّنيا والآخِرةِ (**عَدْلٌ**) لأنَّ الظُّلْمَ علَيه تَعالَى مُحالٌ، فهُو المتَصَرِّفُ في مُلْكِه كَما يَشاءُ ولا مُلْكَ لأَحَدٍ مَعهُ تَعالَى في الأَزَلِ.

(**لَا يُسْأَلُ**) سُبحانَه وتَعالَى (**عَمَّا يَفْعَلُ**) لأنّهُ الفاعِلُ وَحْدَهُ، والسُّؤالُ والسَّائِلُ لو صَدَر لَكانَ كُلُّ ذلك ءاثارُهُ ومَصنُوعاتُه، فكَيفَ يَرِدُ علَيهِ ما يَصْدُرُ مِنهُ (**وَهُمْ**) أي المَخلُوقُون والمَصنُوعونَ لَهُ تَعالَى (**يُسْألونَ**) عَن حُقوقِه علَيهِم لأنّه ابتَدأَهُم بالنِّعمةِ والفَضلِ فوَجَبَتْ علَيهِم حُقوقٌ كثيرةٌ لَهُ تَعالَى حتَّى إذا وَفَّقَهُم تعالَى لأداءِ بعضِ حُقُوقِه كان ذلكَ فَضْلًا ونِعمةً مِنهُ تَعالَى علَيهِم فَهُم يُسأَلُون

عن شُكرِ ذلكَ لَولا المسامَحةُ مِنهُ تعالَى[1] كما قال تَعالَى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [سُورة المائدة: ١٥].

(**مَوجودٌ**) سُبحانَه وتَعالَى (**قبلَ**) وُجُودِ (**الخَلْقِ**) بَل قَبْلَ القَبْلِ[2]، لأنّ القَبْلَ مِن عَوارِضِ الزَّمانِ، واللهُ خالِقُ الزَّمانِ وعَوارِضِه فَهُو خالِقُ القَبْلِ[3] (**لَيْسَ لَهُ**) تَعالَى (**قَبْلٌ**) لأنّ القَبْلَ مَخلوقٌ، ولا يُوصَفُ ربُّنا بشىءٍ مَخلُوقٍ (**وَلَا**) لَهُ تَعالَى (**بَعْدٌ**) لأنّ البَعْدَ أيضًا مِن عَوارِض الزَّمانِ، واللهُ تَعالَى مُنَزَّهٌ عن الزَّمانِ وعَوارِضِه، فالبَعدُ مَخلوقٌ فلا يُوصَفُ بِه الرَّبُّ تَعالَى، (**وَلَا**) لَهُ تَعالَى (**فَوْقٌ**) لأنّ الفَوْقَ مِن عَوارِضِ المَكانِ، والأَماكِنُ كُلُّها مَخلوقةٌ وكَذا عَوارِضُها، فالفَوْقُ مَخلُوقٌ

(١) فاللهُ تعالى يَعفُوْ عن بَعضِ المقَصِّرين في الشُّكر الواجب مِن المؤمِنين فلا يُعَذِّبُهم، والشُّكر الواجِبُ هو أداءُ الواجبات واجتنابُ المحَرَّمات، وإلا فهُنالك يوم القيامة سُؤالٌ على شُكْر النِّعَم لا للتَّعذِيب على ذلك بل هو كما جاء في الحديث الذي رواه التِّرمذيُّ مِن أنّه يقال للعَبدِ يوم القيامةِ: «**أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ**» فهذا يكون لإظهار شرَف المؤمنين الشاكِرين، أمَّا التَّوبِيخُ وسؤال التعذيب فهو لِبَعض العصاة مِن المسلمين كما يَدُلُّ عليه عموم الآية: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [سُورة البَقرة: ٢٨٤] أي مِن الْمُخالِفِين، وأما السُّؤال لإظهارِ شرَف المسؤول وهُم الأنبياء فقد دَلَّ عليه قَولُه تعالى: ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [سُورة الأعراف: ٦]، فسُؤال الأنبياء يومَ القيامة لا يكون تَوبِيخًا لهم بل هو لإظهارِ شَرَفِهم على أُمَمِهم وأقوامِهم وأنَّهُم قد بَلَّغُوا الرِّسالةَ وأَدَّوُا الأمانةَ ونَصَحُوا أممَهُم ولم يُقَصِّرُوا في ذلك، فلَا يَلْحَقُ الأنبياءَ فَزَعٌ يومئذٍ ولا تَوبيخٌ، بل هم علَيهِمُ الصلاة والسَّلامُ ساداتُ الشُّفَعاءِ.

(٢) أَي قَبْل وُجودِ الزَّمان، فإنّ الزَّمان مَخلُوقٌ.

(٣) قال الإمامُ أبو مَنصُورٍ البَغدادِيُّ: "وأجمَعُوا على أنه لا يَحْوِيه مَكانٌ ولا يَجرِي عليه زَمانٌ"، وكَيْفَ يَجرِي عليه وهو خالِقُه ومُوجِدُه، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سُورة الرَّعد: ١٦].

وَلَا تَحْتٌ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا أَمَامٌ وَلَا خَلْفٌ، وَلَا كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ، وَلَا يُقَالُ مَتَى كَانَ وَلَا أَيْنَ كَانَ وَلَا كَيْفَ، كَانَ وَلَا مَكَانَ، كَوَّنَ الأَكْوَانَ، وَدَبَّرَ الزَّمَانَ، لَا يَتَقَيَّدُ بِزَمَانٍ، وَلَا يَتَخَصَّصُ بِمَكَانٍ[1]

فلا يُوصَفُ بِه الرَّبُّ تَعالَى (**وَلَا**) لَهُ تَعالَى (**تَحْتٌ**) لأنّ التَّحْتَ مِن عَوارِضِ المَكانِ أيضًا فالتَّحتُ مَخلُوقٌ فلا يُوصَفُ بِه الرَّبُّ تَعالَى (**وَلَا**) لَهُ تَعالَى (**يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ وَلَا أَمَامٌ وَلَا خَلْفٌ**) لأنّ ذلكَ جَمِيعَه مِن عَوارِضِ المَكانِ، واللهُ تَعالَى مُنَزَّهٌ عَن المكانِ وعَوارِضِه (**وَلَا**) لَهُ تَعالَى (**كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ**) لأنّه تَعالَى ليسَ بجِسمٍ، والكُلُّ والبَعضُ مِن عَوارِضِ الأجسامِ المُرَكَّبةِ، وذلكَ على الله تَعالَى مُحالٌ (**وَلَا يُقَالُ**) عَنهُ تَعالَى (**مَتَى كَانَ**) أي وُجِدَ لأنّ مَتَى سُؤالٌ عَن الزَّمانِ، واللهُ تَعالَى مَوجودٌ لا فِي زَمانٍ، لأنّ الأزمانَ كُلَّها أَعراضٌ زائلةٌ حادِثةٌ مُنتَقِلةٌ مُتَغَيِّرةٌ، واللهُ تَعالَى يَستَحِيلُ فِي حَقِّهِ التَّغَيُّرُ والانتقالُ والتَّحَوُّل والزَّوالُ، فلا يُقال فِي وُجودِه مَتى كانَ، (**وَلَا**) يُقال عنهُ تَعالَى (**أَيْنَ كَانَ**) لأنّ أينَ سُؤالٌ عنِ المَكانِ (**وَلَا كَيْفَ**) أي على أَيِّ كَيفِيّةٍ (**كَانَ**) لأنّ الكَيفيّاتِ كُلَّها حادِثةٌ وهو الذي أَحدَثَها، فيَستحِيلُ أن يَكون مُتَّصِفًا بِها وإلّا كانَتْ قَدِيمةً، وحُدوثُها مُشاهَدٌ لأنّها أَعراضٌ زائِلةٌ مُنتَقِلةٌ.

(**كَوَّنَ**) بالتَّشدِيد أي أَوجَدَ (**المَكَانَ**) وهو الحَيّزُ الذي يَستَقِرُّ عَلَيه الجِرْمُ، فكَيف يَكونُ له تعالَى مَكانٌ (**وَدَبَّرَ**) أي نَظَرَ في عاقِبةِ (**الزَّمَانَ**) وهو مُتَجَدِّدٌ يُقَدَّرُ به مُتَجَدِّدٌ ءاخَرُ أَو هُو مُدَّة الحَركةِ.

(**لَا يَتَقَيَّدُ**) سُبحانَه وتَعالَى (**بِزَمَانٍ**) لأنّ لو تَقَيَّد بِزَمانٍ لَكان مُشابِهًا للأَكوانِ (**وَلَا يَتَخَصَّصُ بِمَكَانٍ**) لِئَلّا يكونَ مُحتاجًا إلى شيءٍ مِن الأكوانِ، ولا يَجوزُ أن يُقال إنّه فِي كُلّ مَكانٍ لأنّ الأَماكِنَ

---

(١) فِي نسخة الشّيخ النّابلسيّ "بِزَمانٍ" و"بمَكانٍ" بالتّنكير.

وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وَلَا يَلْحَقُهُ همٌّ[1]، وَلَا يُكَيِّفُهُ عَقْلٌ، وَلَا يُتَخَيَّلُ فِي النَّفْسِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي الوهمِ[2]، وَلَا يتَرَدَّدُ فِي الذِّهْنِ، وَلَا يُتَكَيَّفُ فِي العَقْلِ، وَلَا يُتَخَصَّصُ فِي الذِّهْنِ.........................

كُلَّهَا مَخلوقةٌ لَهُ تَعالَى وهو خالقُها فكَيفَ يَحتاجُ إلَيها (**[وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ] وَلَا يَلْحَقُهُ**) أي لا يُدرِكُه (**هَمٌّ**) أي حَزَنٌ كما يَلحَقُ الكائناتِ علَى فَواتِ قَصْدٍ وَتَخَلُّفِ إرادةٍ، كَيفَ وهو تَعالَى النّافِذُ حُكْمُه وأمْرُهُ في العَوالِمِ كُلِّها (**وَلَا يُكَيِّفُهُ**) أي لا يُدرِكُ لهُ تعالى كَيفِيّةً مِن الكَيفِيّاتِ (**عَقْلٌ**) وهو النُّورُ الْمُودَعُ في الدِّماغِ الذي يُدرِكُ بِهِ المُكَلَّفُ مَوجُوداتِ اللهِ تَعالَى بِواسطةِ حاسَّةٍ أو خبَرٍ أَوْ لَا[3]، فإنَّ العَقْلَ مَخلُوقٌ، والْمَخلُوقُ لا يُمكِنُه أن يُكَيِّفَ الخالِقَ لِعَدَمِ وُجودِ الكَيفيّةِ لَهُ تَعالَى، ولأنَّ المصنُوعَ لا يُدرِكُ الصَّانِعَ، كما أنَّ الشّقَّة لا تُدرِكُ الحائِكَ (**وَلَا يُتَخَيَّلُ**) تعالَى (**فِي النَّفْسِ**) أي في الذِّهْنِ بِحَيثُ تَحصُلُ لهُ صُورةٌ فِيه مُتَخيَّلَةٌ كما للأَشياءِ (**وَلَا يُتَصَوَّرُ**) أي يُوجَدُ (**فِي الوَهْمِ**) لَهُ صُورةٌ أبدًا (**وَلَا يتَرَدَّدُ**) أي يتَجدَّدُ ويُوجَدُ ويُعدَمُ (**فِي الذِّهْنِ**) تَرَدُّدَ مَعانِي الأشياءِ بالقُوَّةِ المُفَكِّرةِ (**وَلَا يُتَكَيَّفُ**) أي تحصُل له كَيفيّةٌ (**فِي العَقْلِ**) لأنّه لا كَيفيّةَ لهُ كما سَبَقَ (**وَلَا يُتَخَصَّصُ فِي الذِّهْنِ**) بِمِقدارٍ دُونَ مِقدارٍ وهَيئةٍ دُونَ هَيئةٍ ونَحوِ ذلكَ، لأنّه لا شيءَ له مِن ذلكَ ألبَتَّة.

---

(١) في نسخة الشّيخ النّابلسيّ "هَمٌّ" بدل "وَهمٌ"، وعليها جرى في الشَّرح، ولكنّ المشهور والّذي يقوّيه السّياق "وهمٌ".

(٢) في نسخة الشّيخ النّابلسي "الوهم" بدل "النّفس"، وعليها جرى في الشّرح.

(٣) وقد عَرَّفَه بعضُهم بأنّه غَرِيزة يُهَيَّأُ بها لِدَرك العلوم النظرية، ويقال: إنه نُورٌ يُقذَفُ في القَلب، وقال بعضهم: هُوَ نَفْسُ العِلْم، وهو قول مَحكِيٌّ عن الأشعري. ومِن أجمَعِ ما قيل فيه: هو مَلَكَةٌ أي هيئةٌ راسِخةٌ يُدرَك بها العُلومُ، وبعبارة أخرى: صفةٌ راسِخةٌ في الإنسان يُمَيِّزُ بها بين الحسَنِ والقَبِيح والباطِلِ والصَّحِيحِ ومَحَلُّه عند الأكثَرِينَ القَلْبُ، وقيل: في الرأسِ، وقيل: مُشتَرَكٌ، والذي جرَى عليه بعض مشايخنا أنه مُتَعَلِّقٌ بالقَلْب والدِّماغ معًا.

لَا تَلْحَقُهُ الأَوْهَامُ وَالأَفْكَارُ، وَلَا تَحْوِيهِ الجِهَاتُ وَالأَقْطَارُ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [سُورة الشُّورى: ١١]...

(**لَا تَلْحَقُهُ**) أي تُدرِكُه سُبحانَه وتَعالَى (**الأَوْهَامُ**) جَمعُ وَهمٍ وهو قُوّةٌ تعتَرِي النَّفسَ تَحمِلُها على إدراكِ ما لا وُجودَ لَهُ (**وَالأَفْكَارُ**) جَمعُ فِكرٍ وهو حَركَةُ النَّفْسِ النّاطِقةِ تَجُول في وَسَطِ الدِّماغِ على إدراكِ الشَّيءِ، (**وَلَا تَحْوِيهِ الجِهَاتُ**) السِّتُّ فَوقُ وتَحتُ ويَمِينٌ وشِمالٌ وقُدّامُ وخَلْفُ، جَمعُ جِهةٍ وهِي مِن عَوارِضِ الأجسامِ، والجِسمِيّةُ مُستَحِيلةٌ عليه تَعالَى، وكذلكَ ما هُو مِن عَوارِضِها، فليسَ في جِسمٍ ولا في عَوارِضِ الجِسمِ (**وَالأَقْطَارُ**) جَمعُ قُطْرٍ وهو النّاحِيةُ، فليسَ تَعالَى فَوقَ شىءٍ ولا تَحتَ شىءٍ ولا يَمِينَ شىءٍ ولا شِمالَ شىءٍ ولا قُدَّامَ شىءٍ ولا خَلْفَ شىءٍ، ولا في ناحِيةِ شىءٍ مِن الأشياءِ، ولا في جميع جِهاتِ شىءٍ مِن الأشياءِ أيضًا (**لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ**) أي كَذاتِه، كما يُقال: مِثلُكَ لَا يَفعَلُ كَذا أي أنتَ لا تَفعَل، أو كَصِفاتِه، لأنّ مِثلَه في القِدَمِ صِفاتُه، أو الكافُ صِلةٌ والتقدير: ليس مِثلَهُ (**شَيۡءٞ**) مِن الأَشياءِ مُطلَقًا (**وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ**) الذي لا يُشبِهُ سَمْعُه شيئًا مِن الأشياءِ (**ٱلۡبَصِيرُ**) الذي لا يُشبِهُ بَصَرُه شيئًا مِن الأشياءِ، والمرادُ أنّه تَعالَى مُنَزَّهٌ عَن مُشابَهةِ الأَكوانِ، ومعَ ذلكَ هو مَوصُوفٌ بالصّفاتِ الجَلاليّة والجَماليّة[1] الكامِلة، فقَدَّم التَّنزِيهَ على الاتّصافِ بالصِّفاتِ الكامِلةِ حتّى يُعرَف أنَّ الصِّفاتِ أيضًا مُنَزَّهةٌ عَمَّا لا يَلِيقُ بِه تَعالَى كما قَدَّم النَّفْيَ على الإثباتِ في كَلِمة الشَّهادةِ، لأنّ الْمُمكِنَ ليسَ في قُدْرَتِه إذا وَصَف رَبَّهُ إلّا التَّنزِيهَ والنَّفيَ والإثباتَ، فلَيسَ في وُسْعِه وَصفُه بِه إلا مُنَزّهًا، فيَعودُ الأمرُ إلى تَقدِيم النَّفْيِ على الإثباتِ، ولا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها.

---

(١) أي التِي تَدُلُّ على الكَمال وتَنفِي عَنهُ النَّقص.

نِعْمَ الْمَولَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ فِي كُلِّ حَالٍ عَرَفَهُ العَارِفُونَ، ونَفَوُا التَّكْيِيفَ عَنْ جَلَالِهِ، فَكُلُّ مَا خَطَرَ بِبَالِكَ فَاللهُ تَعَالَى بِخِلَافِهِ، سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ....

(**نِعْمَ الْمَولَى**) لَنا فهوَ الذي يَتَوَلَّى أُمورَنا كُلَّها مِن خَيرٍ وشَرٍّ وَنَفعٍ وضُرٍّ، فإنْ خَلَقَ لَنا طاعةً فبِفَضْلِه أو مَعصِيةً فبِعَدْلِه (**وَنِعْمَ النَّصِيرُ**) لَنا أيضًا على أعدائِنَا وأعدائِه.

(**فِي كُلِّ حَالٍ عَرَفَهُ العَارِفُونَ**) بأفعالِه التي أَظهَرَ مُنفعَلاتِه بِها فقط (**وَنَفَوُا التَّكْيِيفَ عَنْ جَلَالِهِ**) أي عَظَمَتِه أي بحيثُ لَم يُدركُوا له كَيفيّةً لِعلْمِهم بأنّه لا كَيفيّةَ له، فعَجْزُهُم عن إدراكِه هو إدراكُه كما قال الصِّدّيقُ رضي الله عنه لَمَّا سُئِلَ بِمَاذا عَرَفْتَ رَبَّك فقال: عَرَفتُ رَبِّي بِرَبِّي، ثُمّ قال: العَجزُ عَن دَرَكِ الإدراك إدراكٌ (**فَكُلُّ مَا خَطَرَ**) أي حَصَل (**بِبَالِكَ فَاللهُ تَعَالَى بِخِلَافِهِ**) أي بِخلافِ ذلكَ الشيء الذي خَطَرَ، وذلكَ بالضَّرورةِ لأنّ ذلكَ الشيءَ الخاطِرَ في الفِكْرِ حادِثٌ مِن العَدَمِ لأنّه خَطَرَ بعدَ أن لَم يَكُن، فكَيفَ يكونُ شَبيهًا بالرَّبِّ تَعالَى وتَقَدَّسَ، وهذا أمرٌ لا خَفاءَ فِيه.

(**سُبْحَانَهُ وَتعَالَى**) أي نَزِّه رَبَّكَ واعْتَقِدْ تَعالِيهِ وَتَباعُدِهِ (**عَمَّا يَقُولُ**) أي عن الذي يَقُولُه (**الظَّالِمُونَ**) أي الكافِرُونَ الذِينَ يَظلِمُون أنفُسَهُم باعتِقادِهم في رَبِّهم ما هو مُنَزَّه عنهُ مِن الجِسميّة والمَكانِ والزَّمانِ والجِهاتِ وغيرِ ذلكَ مِن أنواعِ زَيغِ الزَّائِغِينَ الذِينَ يَظُنُّون في الله ظَنَّ السَّوْءِ وَغضِبَ اللهُ علَيهِم ولَعَنَهُم [تَعالَى اللهُ] (**عُلُوًّا كَبِيرًا**) أي تَنَزُّهًا [عَظِيمًا].

(**تُسَبِّحُ**) أي تُنَزِّه وتُبَعِّدُ (**لَهُ**) أي اللهِ تَعالَى (**السَّماواتُ السَّبْعُ**) فكَيفَ سُكَّانُها مِن الملائِكةِ (**وَالأَرْضُ**) فضلًا عن المُوَلَّداتِ المخلوقةِ علَيها (**وَمَنْ فِيهِنَّ**) أي في السَّماوات والأرضِ مِن والمُوَلَّداتِ الأربع، وهذا المذكورُ هو عالَم الأجسامِ والأعراضِ، وبَقِيَ عالَم الأرواحِ والعُقولِ

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سُورة الإسراء: ٤٤].

والنُّفوسِ فَتَمَّمهُ بِقولِه (**وَإِنْ مِن شَىءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**) أي يُنَزِّهُ اللهَ تَعالَى بأَوصافِه التِي وَصَفَ نَفْسَه بِها علَى معنَى التَّنزِيه التَّامّ (**وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ**) أي تَفْهَمُون (**تَسْبِيحَهُم**) المَذكُورَ لأنّكُم غافِلُونَ مُنْهَمِكُون في زَخارِف الدُّنيا وشَهَواتِها، وهذا التَّسبِيحُ لَيسَ بلِسانِ الحال بل بلِسَانِ القَالِ، أَلَم تَرَ إلى قَولِه تَعالَى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [سُورة فُصِّلَتْ: ٢١][1] (**إِنَّهُ**) أي اللهُ تَعالَى (**كَانَ حَلِيمًا**) علَى أهلِ الغَفْلةِ (**غَفُورًا**) يَغفِرُ لَهُم الذُّنوبَ التي مِنها الإعراضُ عَن ءاياتِه تَعالَى التي هِي في كُلِّ شىءٍ[2] ومِنها العُدولُ عن امتِثالِ الأمرِ والنَّهْيِ قَطْعًا وَظَنًّا، واللهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ وإلَيهِ المَرجِعُ والمآبُ.

قال مُؤَلِّفُه لَطَف اللهُ بِه والمسلِمِينَ ءامِينَ

قد نَجَزَ هذا الشَّرحُ اللَّطِيفُ بالعَجَلِ في أقَلَّ مِن نِصفِ يَومٍ ابتَدأْنَا بِهِ مِن قُبَيل الظُّهرِ وخَتَمْناهُ بعدَ العَصرِ بِنحوِ ثَلاثِ دُرَجٍ نَهارَ الثّلاثاءِ الثَّامِنَ مِن شَوّالِ سَنةِ أربَعٍ وثَمانِينَ وأَلْفٍ

والحمدُ للهِ وَحْدَهُ وصَلَّى الله على سيّدنا محمَّد وءالِهِ أجمَعِينَ ءامِينَ

---

(١) وهذا مَحمُولٌ على حالةٍ خاصّةٍ يوم القِيامة كما بَيَّنَتْهُ الآيةُ: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [سُورة فُصِّلَت: ٢١] أي في ذَلِكَ الْمَوقِف وإلا فالتَّسبِيحُ منه ما هو بالحَالِ ومنه وما هو بالقَالِ.

(٢) السِّياق يَدُلُّ على الْمُسلِم الذي جَرَّتْهُ الغَفلةُ وأَدَّت به إلى الوُقوع في المحَرَّمات، أمّا الكافِرُ فلا مَغفِرَة له ولا رَحمةَ في الآخِرة.